جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الادب واللغة العربية

مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي
دراسات أدبية
أدب حديث ومعاصر

رقم: ح 30-10-2018

إعداد الطالب:
عفاف تركي

يوم: 28/06/2018

الرمز في ديوان "حمامة وقيد "لسعد مردف

لجنة المناقشة:

عبد الكريم روينة	أ. مس أ	محمد خيضر –بسكرة	رئيس
حياة معاش	أ. د.	محمد خيضر – بسكرة	مشرفا ومقررا
ربيعة بدري	أ. مس أ	محمد خيضر – بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2017 - 2018

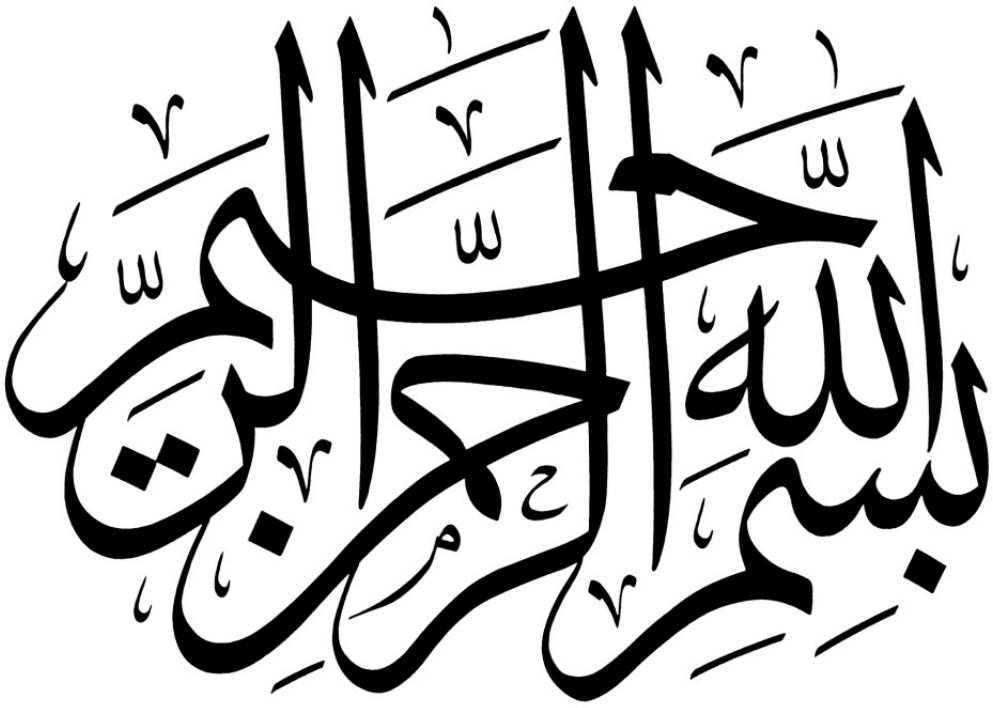
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حفل الشعر المعاصر بمجموعة من الظواهر الفنية التي شغلت مساحة شاسعة على مستوى القصيدة العربية المعاصرة، فساهمت في بنائها وإعطائها قيمة فنية جميلة تختلف بها عن باقي القصائد فنجد من بين هذه الظواهر الرمز.

إذ يعد الرمز وسيلة فنية مهمة للتعبير عن تجارب ومشاعر وأفكار الشاعر بطريقة غير مباشرة تمتاز بالتلميح لا التصريح وغايته في ذلك التأثير في المتلقي وجذبه بطريقة فنية، كما يعد الرمز من التقنيات الحداثية التي لا يكاد أي شعر أن يخلو منها، وهكذا يغدو الرمز ذا بعد جمالي مفعما بالإيحاءات والدلالات.

ومن هنا اتخذ الشعراء المعاصرون هذه الأداة الفعالة للتعبير عن آرائهم الفكرية، والسياسية والاجتماعية بطريقة فنية أكسبت القصيدة أبعادا دلالية وأخرى جمالية جعلت للرمز شأنا في القصائد المعاصرة.

ونظرا للأهمية الكبيرة التي حظي بها الرمز في الشعر المعاصر ارتأينا دراسة هذه الظاهرة فجاء البحث موسوما ب "الرمز في ديوان حمامة وقيد لسعد مردف".

فأثارتنا في ذلك مجموعة من التساؤلات: ما مفهوم الرمز؟ وكيف تجلى في ديوان حمامة وقيد؟ وما هي مصادره وأنواعه؟ وما دلالاته المختلفة؟

وقد وقع اختيارنا على هذه الدراسة لارتباطها بمجموعة من الأسباب أهمها رغبتنا باحثين معرفة جماليات الرمز، ومدى قدرة هذه الرموز في تشكيل بنية القصيدة وكذلك الوقوف عند أنواع الرمز ودلالاته.

وموضوع البحث يقتضي منا تقسيم الدراسة إلى مدخل وفصلين، احتوى المدخل على مفهوم الرمز، سماته ومكوناته. أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان آليات استخدام الرمز وأنواعه. والفصل الثاني موسوما ب: تجليات أنماط الرمز في ديوان حمامة وقيد، والذي بدوره تمثل في الجانب التطبيقي حيث انطوى على استخراج الرموز وتوضيح أنواعها ودلالاتها.

وقد اعتمدنا المنهج السميائي وفق إجراء التأويل لتتبع أهم الرموز وفك شفراتها.

ولإخراج هذا البحث إلى النور، ساعدتنا جملة من المراجع نذكر أهمها:

- الرمز والرمزية لمحمد فتوح أحمد.
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر لعلي عشري زايد.
- تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث لنورا مرعي.

وأثناء إنجازنا لهذا البحث واجهتنا مجموعة من الصعوبات لعل أهمها تشعب المادة وصعوبة الضبط الجيد وبخاصة الجانب التطبيقي.

وفي الأخير لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة "حياة معاش" التي كان لها الفضل في التوجيه لإعداد هذا البحث ولها منا كل الشكر والتقدير.

مدخل:

ماهية الرمز

1- مفهوم الرمز.

2- سمات الرمز.

3- مكونات الرمز.

1- مفهوم الرمز:

يعد الرمز من أبرز الظواهر الفنية التي تلفت النظر في تجربة الشعر الجديدة، فقد لقي الشعراء مبتغاهم في الرمز وذلك لما فيه من إيحاءات وإيماءات تكشف عن حالاتهم ومعاناتهم.

ومن هنا عد الرمز من المصطلحات الزئبقية التي يصعب ثباتها في مفهوم واحد، ولهذا اختلف النقاد في تحديد تعريف واضح وشامل، فكلّ أدلى بدلوه في تحديد الماهية بحسب مكتسباته القبلية، إلا أننا سنحاول إعطاء مفهوم من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

أ-لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور" قوله: «الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين وقيل: الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللغة كما أشرت إليه، مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين ورَمَزَ يَرمزُ رمزًا»[1].

1- ابن منظور، لسان العرب، فصل الراء (حرف الزاي) مج5، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ./1990م، المادة (ر،م،ز)، ص356.

وذكر في القرآن الكريم في قصة "زكريا" عليه السلام : {أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ }[1]. «أي ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز»[2].

كما نجد كلمة رمز في العصور القديمة جدًا، «فهي عند اليونان تدل على قطعة من فخار، أو خزف تقدم إلى الزائر الغريب، علامة حسن الضيافة، وكلمة رمز ***Symbole*** مشتقة من فعل يوناني يحمل معنى الرمي المشترك ***jeter ensemble*** أي اشتراك شيئين في مجرى واحد وتوحيدهما»[3].

من خلال التعريفات السابقة نستنتج أن مفهوم الرمز يرتبط بالإيماءات والإيحاءات التي تقوم بها الحواس لإظهار معنى معين الذي لا تتقنه اللغة العادية.

ب- اصطلاحا:

نظرا للمكانة المرموقة التي حظي بها الرمز في الشعر الحديث والمعاصر التفت حوله أنظار العديد من الباحثين في مجال الدراسات النقدية فتعددت وتشعبت معانيه من باحث لآخر.

1- آل عمران (41).

2- عبد الرحمان بن ناصر، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، دار بن حزم، لبنان، ط1، 2003، ص113.

3- ناصر لوحيشي، الرمز في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص9.

ويعد قدامى بن جعفر أول من تكلم عن الرمز بمعناه الاصطلاحي في كتابه نقد الشعر فقال: «هو ما أخفى من الكلام ويقول في حد الرمز، وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه فيما يريد طيّه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم، فيجعل للكلمة أو الحرف اسما من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس أو حرف من حروف المعجم، فيطلعه على من يريد إفهامه، فيكون ذلك قولا مفهوما بينهما، مرموزا عن غيرهما»[1]. فالرمز بمعنى عام هو ما يريد الإنسان إخفاءه وعدم التصريح به.

«فماهية الرمز تتلخص في إدراك أن شيئا ما يقف بديلا عن شيء آخر»[2].

فالرمز هو كل متستر وراء الإيحاء والإيماء والمعاني المختلفة يستخلصها كل متلقي حسب قراءته واستنتاجاته الإبداعية.

كما يقول محمد غنيمي هلال: «الرمز هنا معناه الإيحاء، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية، والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء»[3].

ويتضح مما سبق أن الرمز هو محاولة لكسر المباشرة في الكلام، لإضفاء سمة جديدة تقوم على الإيحاء والإيماء وهذا ما يسمى بظاهرة الغموض التي تجذب القارئ وتجبره على استنباط دلالات وهذا ما يكسب النص قيمة جمالية.

1- محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص30.

2- يوسف عيد، المدارس الأدبية ومذاهبها، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994، ص179.

3- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر، (د.ب)، (د.ط)، 2001، ص315.

2- سمات الرمز:

هناك سمات عدة تم استنتاجها من المفاهيم المتعددة للرمز، وإذا نفيت عنه عُدَّ إشارة أو علامة، وقد ورد بعضها لدى الكثير من الباحثين كنعيم اليافي وهي:

1. **الإيحائية:** تعني أن الرمز يلمح للحالة ويكشف عنها تدريجيا، كما تتعدد دلالته الفنية، ولا يكون له دلالة واحدة فحسب، وتعدد الدلالات راجع إلى الكثافة الشعورية التي يعبر عنها، فالإيحاء الجمالي هو إيحاء مكثف ممتلئ بموضوعه.
2. **الانفعالية:** ويقوم على نقل جملة من الأحاسيس والانفعالات ذات أبعاد عميقة، أي حاما انفعالي، ومحاولة نقلها إلى المتلقي بطريقة توقع في نفس المتلقي ما وقع في نفس الشاعر[1].
3. **التمثيل:** هذه السمة مفادها أن الرمز يعتمد المجاز لا الحقيقة فيتناول الظواهر تناولا مجازيا يختلف عن سياقها الواقعي ويحاول أن يجسدها في صورة حسية لكي يكون لها أثر في ذات المتلقي.
4. **الحسية:** تحيل هذه السمة على أن الرمز يجسد ولا يجرد، بمعنى أن التحويل يكون على مستوى حسي أي نقل الأشياء من مستواها الحسي المعهود إلى مستوى حسي آخر يختلف عن السابق [2].

1- ينظر: محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز، ص38.

2- ينظر: محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز، ص39.

1.**الإيجاز:** يعد دعامة أساسية من دعائم الرمزية والأصل فيه هو مختصر الكلام، الذي هو عكس الإسهاب والإطناب.

2.**الإيهام:** وهو الكلام الذي له أكثر من وجه، وهو عند البلاغيين إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين... وقد جعل الإيهام في الرمزية مطية للإخفاء والستر.

3.**الاتساع:** وهو اللفظ الذي يجد فيه التأويل متسعا له، قال السبكي بشأنه، هو كلام تتسع تأويلاته فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاته [1].

4.**التلغيز:** التلغيز أو الإلغاز، ويقصد به التعمية وإضمار الكلام لا إظهاره، لأنه تضليل نافذ للقارئ وتعطيل مقصود للدلالة لذلك قيل عنه مغالطة وتورية.

5.**السياقية:** وهي إحدى خصائص الرمز، توجهه وتخلق له فضاء دلالي.

6. **غير المباشرة في التعبير:** وهي السمة الأساسية التي بني عليها شعر الحداثة برمته، كما عرف عليها أنها تدور حول الموضوع ولا تلمس قلبه وصميمه [2].

وبهذه السمات التي يغلب عليها طابع الغموض حافظ الشعر على مكانته، حيث لجأ إليها الأدباء ووجدوا فيها ضالتهم، لأن الشاعر في بعض الأحيان وبسبب بعض الظروف يلجأ إلى التلميح لا التصريح، وهذا ما زاد القصيدة أبعادا جمالية وأخرجها من طابع الجمود والجفاف.

1- ينظر: المرجع السابق، ص 39-40.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 41-42.

3- مكونات الرمز:

من أبرز الظواهر الفنية التي تلفت النظر في تجربة الشعر الجديد «الإكثار من استخدام الرمز والأسطورة كأداة للتعبير وليس غريبا أن يستخدم الشاعر الرموز والأساطير في شعره، فالعلاقة قديمة بينهما وبين الشعر ترشح لهذا الاستخدام، وتدل عندئذ على بصيرة كافية بطبيعة الشعر والتعبير الشعري، لكن التأمل في طبيعة الرموز والأساطير التي يستخدمها الشعراء المعاصرين وفي طريقة استخدامهم لها يدعو دعوة ملحة إلى الاهتمام بهذه الظاهرة إجمالا وتقويما»[1].

مما لا شك فيه تعدد مكونات الرمز وكثرتها، التي لا يمكن حصرها لذلك سنقف عند بعض المكونات الواضحة والرئيسية:

1. **الصورة:** في صميم الرمز تكمن الصورة باعتبارها الأصل المادي لوجهه الأول، فإذا قلنا "غزالة" حصلنا على صورة الغزالة في العقل وهذا هو التعريف الأدبي للصورة أي الصورة المنتجة في العقل بواسطة اللغة... وهي المادة الخام للرمز لكن هذه الصورة ليست رمزا ولا تغدو كذلك إلا إذا جاءت في سياق معين واستنادا إلى ترابطات معينة بحيث نعني شيئا أكبر من الغزالة أو شيء آخر غير الغزالة الحيوان المعروف[2].

1- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر، (د.ب)، ط3، (د.س)، ص355.

2- هاني نصر الله، البروج الرمزية (دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة)، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د.ط)، 2006، ص322.

فالصورة هي «القصيدة كلها بوصفها رمزا حسيا، يكشف عن أشياء كثيرة وجوهرية في حياة المبدع وشخصيته وطبيعة ذهنه، فهو خلق يعادل به الشاعر حدسه أو يقدم رؤيته والصورة بالدلالة الرمزية رمز لا يحمل الواقع وغير الواقع،

وإنما هو عالم واحد يمتزج فيه هذان الطرفان على نحو متكامل لا يشير إلى غيره»[1].

وعلى هذا فإن قوام الرمز هو الصورة التي تعتبر مكون أساسي في العالم المحسوس، فإذا ما انسلخت عن دلالتها الحسية الضيقة واعتمدت على الإيحاء فهنا تصبح رموزا يعبر بها الشخص عن مكنونات نفسه وخباياها.

2.**الأسطورة:** لم يقف التوظيف الفني للأسطورة عند حكايتها، بل شمل عناصرها ومعطياتها الفنية الأخرى الواسعة الثراء فقد وجد الشاعر في الأسطورة متنفسا للتأمل ورافدا من روافد البناء الفكري «فاتخذها إطارا لأبنيته الفنية التي اشتقها من صميم تجربته المحلية أو الخاصة وعندما أعجزه أن يأتي بالخوارق التي تتضمنها الأسطورة عادة، صاغ تفاصيلها من همومه وأوجاعه وأحلامه حيث بدأت تظهر فيها أمكنته وأسماءه وشظايا أشجانه وهواجسه المروعة»[2].

1- محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز، ص85.

2- هاني نصر الله، البروج الرمزية، ص 79.

ويعد توظيف الأساطير في شعرنا العربي المعاصر محاولة لاستكشاف الحقيقة حيث يقول محمد فتوح أن الرمز الأسطوري هو «اتخاذ الأسطورة قالبا رمزيا يمكن فيه رد الشخصيات والأحداث والمواقف الوهمية إلى شخصيات ومواقف عصرية وبذلك تكون وظيفة الأسطورة، أو إهمال الشخصيات أو أحداثها أو الاكتفاء بدلالة الموقف الأساسي فيها بغية الإيحاء بموقف معاصر يماثله»[1].

ومن خلال الأسطورة كأداة طيعة يستطيع الشاعر التعبير من خلالها بعمق وبقوة وإيجاز.

3.**الطقوس:** «وهي سلسلة من الأفعال المحددة والمرتبة والمتتابعة بطريقة ثابتة فقد نظر الأنتربولوجيين إلى الطقوس على أنها رموز لها دلالات أبعد من كونها مجرد شعائر دينية أو سلسلة من الأفعال تؤدى في ظروف اجتماعية معينة، فهي توفر للأديب أو الشاعر ميدانا رحبا وحقلا مرعا من الرموز»[2].

وجد الشاعر المعاصر ملاذه في الأساطير والطقوس حيث عبر بها عن ذاتيته المكبوتة وإلى التصريح عن قضايا عصره في هذا العالم المشوه المليء بالانكسارات والهزائم والحواجز ورفضه لقوانين القهر والاستبداد والكشف عن ما يخفيه في نفسه من ثورة ومحاولته التجديد والتغيير.

1- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1984، ص288.

2- هاني نصر الله، البروج الرمزية، ص 24.

ومما سبق ذكره يتجلى لنا أن مصادر الرمز متعددة، وعليه لا بد للشاعر من قدرة فنية تمكنه من التوظيف المناسب للرمز لكي يرقى بتجربته الفنية ويتمكن من التعبير عنها بطريقة متميزة وتكون دلالة الرمز معبرة عن تجربة الشاعر ورؤياه.

الفصل الأول:

آليات استخدام الرمز وأنواعه

1- آليات استخدام الرمز.

2- أهمية الرمز.

3- مستويات الرمز.

4- أنواع الرمز.

1- آليات استخدام الرمز:

لقد ارتكز الرمز على أربعة شروط أوردها صلاح فضل في كتابه (نظرية بنائية في النقد الأدبي) حيث استقاها من آراء علماء التحليل النفسي والجمالي وهي:

1-خاصيته التشكيلية التصويرية: مما يعني موقفا متجها إلى اعتبار الرمز لا في ذاته وإنما فيما يرمز إليه.

2-قابليته للتلقي: أي أن هناك شيئا مثاليا غير منظور يتصل بما وراء الحس، يتم تلقيه بالرمز الذي يجعله موضوعيا[1].

3-قدرته الذاتية: أي أن الرمز له طاقة خاصة به منبثقة عنه تميزه عن الإشارة التي لا حول لها في نفسها.

4-تلقيه كرمز: مما يعني أن الرمز عميق الجذور اجتماعيا و إنسانيا، ويصبح من الخطأ تصور قيام الرمز ثم تقبله بعد ذلك، لأن عملية تحول الشيء إلى رمز وتقبله على هذا الأساس تعد عملية واحدة لا تتجزأ إلى مراحل [2].

فمن خلال هذه الآليات نستطيع تمييز الرمز عن غيره.

1- محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز (قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010/1431، ص33.

2- محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز، ص33.

كما نجد عدنان حسين قادم في كتابه (التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية) قد جمع بعض الوسائل التي يرتكز عليها أغلب الشعراء في استخداماتهم للرمز.

1-المراوحة: أن تتناوب دلالتان الحقيقية وغير الحقيقية فيتحدث الشاعر مرة عن الدلالة الحقيقية ثم يعود لينتقل منها إلى الدلالة غير الحقيقية ثم يتحدان أو ينفصلان، وقد أكثر الشعراء الفلسطينيون المعاصرون من المراوحة بين الحبيبة والوطن أو بين الأم والوطن.

2-الاستشفاف: وهو أن يطرح الشاعر بين أيدينا الدلالة الواقعية، من خلال تلك الدلالة نستشف المعنى الرمزي، وباستطاعتنا أن نلتقي الدلالة الواقعية وأن نتوقف عندها غير مجاوزينها إلى المعاني التي تكمن خلفها[1].

3- الإنابة: وهو أن يضع الشاعر كلمة تنوب مناب موقف فكري أو شعوري مكتمل تستحضره في أذهان المتلقين، وتجدر الإشارة إلى أن الدلالتين الواقعية والرمزية تقفان جنبا إلى جنب في حركة تفاعل مستمر في حالة إنابة ويتمحور عملها في تغذية جو الشعورية العام الذي يولده البناء الفني المكتمل للقصيدة[2].

1- عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، دار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2000، ص194-195.

2- المرجع نفسه، ص197.

ومن هنا استطاع الشعراء من خلال هته الآليات أن يوظفوا الرمز توظيفا جماليا بعدة طرق غير أن كل طريقة تختلف عن الأخرى.

2- أهمية الرمز:

يعد الرمز من الظواهر الفنية التي شغلت مساحة كبيرة في القصيدة العربية المعاصرة، إذ لجأ إليه الشعراء لخدمة النص الأدبي، لأن الغموض الذي يعتري القصيدة يجذب القارئ ويدخله في دوامة من التساؤل، ومن هنا تتولد دلالات جديدة.

وربما يرجع سبب استخدام الشعراء للرمز إلى عدة عوامل «تنوعت بين ثقافية ترى أهمية توسع أفق الشاعر ومداركه، ونفسية تعين الشاعر على التخفيف من كآبته ومعاناته وفنية توفر له أدوات جديدة مرنة وقومية تعيد له الثقة برصيده القومي، مقابل ثقافة المستعمر الوافد، وسياسية أجبرت الشاعر على اتخاذه وسيط بينه وبين القارئ»[1].

فقد حاول الشاعر المعاصر أن يتخذ من الرمز أداة يحقق بها مقاصده من خلال:

- التعبير عن مشاعره المستترة وتغير دلالات اللغة الوضعية بإيجاد علاقات لغوية جديدة.
- إدخال القارئ في عوالم لا حدود لها، ويدفعه إلى الغوص في مضمون النص.
- إحداث إمتاع جمالي في نفسه، وإشباع حاسته الفنية وغريزته الجمالية.

1- محمد خقاني أصفهاني، التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 5، 2011، جامعة أصفهان، ص4.

- استناد النصوص الشعرية على الرمز يضمن خلودها لأنها تبتعد عن المباشرة[1].

- «تزيين الفكرة وتجنب الإعتراف الشخصي وذلك أن يظهر المؤلف أو الشاعر مأساته الشخصية في قالب موضوعي سواء أكان القالب جكاية أو بطلا شبيها له»[2].
- «إن تشكيل الصورة بواسطة الرمز تكتسب به قيمتها وحيويتها، إذ أحسسنا حدسيا بأنها التعبير الممكن لحدوس باطنة»[3].
- بالرمز يحاول الشاعر تجاوز حدود المادة ليصل إلى عوالم لا يرتادها العقل ولا يعطيها الوصف الأدبي.
- يقوم الرمز على التطابق بين مختلف أنظمة الواقع الطبيعي، وفوق الطبيعي، من حيث أن الطبيعي ما هو إلا مظهر للتفوق الطبيعي، والرمز يكون أقرب إلى مدركاتنا الحسية والعقلية من الشيء الذي يرمز إليه.
- يعمل الرمز على إثراء النصوص وجعلها تتميز بطريقة فنية لما يفرزه الواقع من تناقضات، وهذا عبر تحليل مستوياتها المختلفة[4].

1- ينظر: ناصر لوحيشي، الرمز في الشعر العربي المعاصر. ص10-15.

2- نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، دار رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، ط1، 2003، ص72.

3- رجاء عيد، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)، ص36.

4- ينظر: محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز، ص517.

وكل هذا يجعل للرمز أهمية كبيرة في حياة الشاعر المعاصر حيث يتفرد هذا الأخير برموز تضمن عدم ضمور عمله الأدبي، كما تضمن الحفاظ على معانيه الجمالية ومقاصده المنشودة.

3- مستويات الرمز:

وضع «محمد فتوح أحمد للرمز مستويين:

1- مستوى الأشياء الحسية أو الصورة الحسية التي تؤخذ قالبا للرمز.

2- مستوى الحالات المعنوية المرموز إليها.

وحين يندمج المستويان في عملية الإبداع نحصل على الرمز» [1] كما أكد الباحث أن الوعي بالرمز يمر بمرحلتين:

أ-مرحلة العطاء المباشر الذي يقدمه الرمز: باعتبار أن عناصره مستمدة في الأصل من جزئيات الواقع، وأن ألفاظه وعلاقاته اللغوية ألفاظ وعلاقات ذات دلالة سابقة، وهذا ما أسماه بالمعنى المباشر

ب-مرحلة تلقي الإيحاء الرمزي والاستسلام له: باعتبار أن الرمز ليس محاكاة للواقع الجامد، بل هو استكناه له وتحطيم لعلاقات الطبيعة، ومن هنا كانت حركية الرمز وحيويته وإيحاؤه[2].

1- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص40.

2- المرجع نفسه، ص42.

ومن هنا يصبح الرمز لفظ لغوي ذو دلالات إيحائية تتخطى حدود الواقعية «لهذا فإن الرمز لا يقرر ولا يصف بل يومئ ويوحي بوصفه تعبيرا غير مباشر عن النواحي النفسية

وصلة بين الذات والأشياء فتولد فيها المشاعر عن طريق الإثارة لا عن طريق التسمية والتصريح»[1].

اختلف النقاد من حيث نظرتهم إلى الرمز في تحديد مستوياته وذلك لتفاوت قدرات الشعر في توظيفه ومن هنا اختلفت المستويات فكل نظر إليه من منظور معين، فنجد المستوى الإشاري والمفهومي والتراكمي والمحوري.

3- المستوى الإشاري: يعد من أدنى مستويات توظيف الرمز لأنه عد إشارة، وقد لجأ إليه الشعراء وذلك للاحتفاء بمضمونه الذي صار بالنسبة للشاعر جاهزا، شائعا محدد الدلالة، فيتحول الرمز إلى مفردة لغوية ذات مدلول لغوي محدد، تنحصر في إطاره وتتحول إلى نمط لغوي.

4- المستوى المفهومي: إذ يستخدم الشاعر دوال مصطلحات مجلوبة من حقول أخرى على أنها حاملة فكرة أو مفهوم لذا فإننا أمام توظيف يستخدم الرمز كمقولة استخداما إيديولوجيا مغلق على مفهوم ديني أو فلسفي أو اجتماعي أو سياسي، محدد بشكل نهائي لا يخرج عن إطاره.

1- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص40.

5- المستوى التراكمي: ينجم المستوى التراكمي عن حشد الرموز والأساطير والإشارات الدينية والتاريخية، حشدا متداخلا ومتراكبا في مجال ضيق، يصير معه

النص قائمة مثقلة بأسماء وشخصيات وأماكن تراثية أو معاصرة، لأن الشاعر يتركها تتحدث عن هاجسه بمفردها، بل تصير هي القول الشعري ذاته، فيجعلها جزءا من بنية النص أو من تجربته الشعرية.

6- المستوى المحوري: يعتبر رمزا محوريا واحدا لبنية القصيدة ككل، يكون الرمز فيه بؤرة الدلالة ومحور الإيحاء وهو ما يصطلح عليه بالقناع الفني، الذي يلجأ إليه الشاعر ليقول من خلاله ما لا يستطيع قوله بشكل مباشر، مستعملا صوته أو شخصه، فيندمج مع رمزه ويتفاعل معه بحيث تتصهر التجربة في الرمز والرمز في التجربة[1].

يمكن القول: أن كل هته الميزات التي يحملها الرمز، جعلته محل أنظار النقاد والدارسين، والأمر نفسه الذي أدى إلى ظهور القصيدة المعاصرة مشحونة باللغة الرمزية الإبداعية، التي تكشف عن الأبعاد الفكرية والنفسية للشاعر.

1- ينظر: آمنة أمقران، الرمز في شعر مصطفى الغماري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، جامعة محمد الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010/2009، ص15-17.

4- أنواع الرمز:

وجد الشعراء في الرمز الضالة والغرض لذا عجت دواوين الشعراء المعاصرين بشتى أنواع الرمز، ومن هنا قد تضاربت آراء النقاد في تحديد أنواع ثابتة للرمز فنجد "أبرامز" (*Abrams*) يقسم الرموز إلى نوعين:

أ-رموز تقليدية أو عامة: مثل الصلب، البياض، مما استقر، دلالته وأصبحت ثابتة في ثقافة ما[1]. وهذا ما ذهب إليه "موهوب مصطفاوي" «الذي يرى أن الرمز تعبير غير مباشر عن فكرة بواسطة استعارة أو حكاية، بينهما وبين الفكرة المناسبة علاقة، وهكذا يكمن الرمز في التشبيهات والإستعارات والقصص الأسطوري والملحمي والغنائي»[2].

ونظرا إلى ما سبق نستطيع القول أن الرمز العام هو كل رمز خاص بثقافة أو حضارة معينة أي ثابت، بحيث يستقي الشاعر الدلالة من مختلف أجناسها الأدبية.

ب-رموز خاصة أو شخصية: مما يطوره الشعراء مستثمرين ما يكتنزه من ترابطات واسعة، مثل إرتباط الطاووس بالكبرياء، وشروق الشمس بالولادة... إلخ، وقد يكون باستكشاف الشاعر لجوانب وأبعاد جديدة من دلالات الرمز كانت موجودة فيه أصلا ولم ينتبه إليها من سبقوه[2].

1- نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص72.

2- المرجع نفسه، ص37.

ومعنى هذا أن الرمز الخاص هو عبارة عن نظرة أخرى دلالية يكشفها الشاعر عن الرمز العام وهذا ما أقره "هاني نصر الله" في قوله: «الرمز الشخصي أو الخاص هو في الأصل رمز عام، تم تطويره من خلال طبعه بالطابع الشخصي»[1].

وفي جميع الأحوال ينبغي أن يكون ذلك من صميم تجربة الشاعر الذاتية، معبرا عن رؤياه الخاصة، «بهذه الإضافة يمكن أن يكتسب الرمز –وإن كان عاما– طابع الرمز الشخصي، إذ يكون الرمز بكليته من إبداع الشاعر مشبعا بالدلالات التي تعبر عن تجربته وخصوصية رؤياه أي تمييزها عن غيرها وتفردها فنيا، أي جوهر الرمز الشخصي أو الخاص هو فرادة توظيف الدلالات التي تشكل الرؤيا»[2].

ومن جانب آخر نجد محمد فتوح أحمد يقسم الرمز إلى قسمين:

1–الرمز الجزئي: ضيق الإيحاء بطبيعته يعتمد على إيحاءات الألوان وتراسل الحواس وتبادل مجالات الإدراك فهذه الوسائل تنتج الصورة الجزئية.

2–الرمز الكلي: وهو إطار كلي للقصيدة تتآزر في بنائه وسائل الأداء المختلفة من ألفاظ وصور وإيقاعات[3].

هذا النوع من الرموز يرتكز على الصورة المركبة التي قد تسيطر على كامل القصيدة.

1– هاني نصر الله، البروج الرمزية (دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة)، ص38.

2– ينظر: نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص39.

3– محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص227.

كما نجد في رأي آخر، لباجينيني (***Paganini***) الذي ميز بين خمسة أنواع من الرموز الأدبية كما يلي:

1- رمز يسيطر بشكل مركزي في عمل أدبي واحد مثل المطر في قصيدة أنشودة المطر للشاعر بدر شاكر السياب [1].

كما اتخذ الشاعر سعد مردف هذا النوع، ففي قصيدة "حمامة وقيد" نجد رمز الحمامة، الذي سيطر على كل القصيدة في قوله:

ما للحمامة تهجر البستانا؟ وتخاصم الأشجار والوديانا؟
وتودع الحقل البهيج ونوره والسهل، والأزهار والريحانا
أمن الحماقة، وهي بعد حمامة اتخذت من الصخر الأصم مكانا[2]

ذكر الشاعر هذا الرمز في العديد من أبيات القصيدة وأحيانا يستبدله بضمير الغائب في أبيات أخرى.

2- رمز يظهر من حين لآخر في نتاج أديب ما، ويتطور في أعماله المختلفة حتى يكتسب أهمية خاصة في مجمل هذه الأعمال، ويصبح له دلالة مميزة في داخلها مثل حيكور عند السياب[3].

1- هاني نصر الله، البروج الرمزية (دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة)، ص38.

2- سعد مردف، حمامة وقيد، مطبعة مزوار، ط1، 2010، ص42.

3- هاني نصر الله، البروج الرمزية (دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة)، ص38.

أما بالنسبة للشاعر "سعد مردف" الذي استعان بهذا النوع نجد رمز "الصباح" هذا الرمز الذي رافق الشاعر في مسيرته الشعرية.

يقول الشاعر في ذلك:

عيبوا الضياء إذا شئتم، وبهجته
عيبوا الصباح وضوء الفجر إذ ياتي[1]

وقوله أيضا:

وأرسلت نعقات قي المدى فضحت
حقد الغراب على ضوء الصباحات[2]

ذكر الشاعر في الأبيات السابقة رمز "الصباح" ليدل به على الحق، هذا الحق الذي يريد تضليله الحاقدون والشامتون على الأمة العربية، وقوله في قصيدة أخرى:

غدي الصباح مبرعما بضيائه في باحة الأقصى ومنه دوالي
وعند البغاة التيه، ثم مذلة تشفي فؤاد الحق بعد نكال[3]

فمن خلال قصائد الديوان اكتسب رمز الصباح ميزة واضحة وذلك بظهوره في جل قصائد الديوان ليعطي بذلك دلالة يحافظ عليها الشاعر.

1- الديوان، ص7.

2- المصدر نفسه، ص10.

2- المصدر نفسه، ص33.

3- رمز ينتقل من شاعر لآخر، ويكتسب دلالة جديدة في كل سياق مختلف مثل "السندباد" في أعمال السياب وصلاح عبد الصبور وخليل حاوي وغيرهم[1].

ففي هذا السياق استعان الشاعر "سعد مردف" بشخصية دينية وهي شخصية الرسول ρ، التي وظفها الشاعر بدلالة جديدة مغايرة عن دلالة الشعراء السابقين فدلت هذه الشخصية عن ازدهار الماضي وتألقه، كما وظفوا بعضا من ملامحها في تصوير بعض جوانب تجاربهم الخاصة في حين استدعاها الشاعر ليضفي عليها دلالة جديدة في قصيدة "إلا الرسول ρ" في قوله:

إلا الرسول ومن علت برفعته
بلابل الوحي آيات، فآيـات
أين النبي وأين الشامتون به
أين الطهارة من أهل النجاسات[2]

فدلالة الشخصية هنا تتغير من شاعر إلى آخر، فشاعرنا "سعد مردف" استعان بشخصية الرسول على خلاف الشعراء، فأكسبها دلالة جديدة.

4- رمز يمارس وظيفته في إطار ثقافة ما، مثل "البراق" (في حادثة البراق) وهو "جواد الحلم الأشهب" عند السياب[3]. واستعان الشاعر "سعد مردف" بحادثة

1- هاني نصر الله، البروج الرمزية (دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة)، ص38.

2- الديوان، ص5.

3- هاني نصر الله، البروج الرمزية (دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة)، ص38.

"الإسراء والمعراج" الخاصة بالثقافة الإسلامية في قوله:

بالقدس بالأقصى وبالإسراء والـ معراج قرآن تلاه التالي
مالي أنا، والآثمين على المدى والمرخصين اليوم كل غوالي[1]

فحادثة الإسراء والمعراج هي حادثة تخص الحضارة الإسلامية حينما أعرج بالرسول ρ صاحب الرسالة، إلى السماوات السبع، ومن هنا كان تأثر الشعراء المعاصرين بهذه الحادثة وكانت حاضرة في نتاجاتهم الأدبية.

5- «رمز يتردد في ثقافات مختلفة، ليس بينها علاقة تاريخية. محافظا على دلالته فيها جميعا مثل "تموز" أو "أدونيس"، "عشتار"، "أفروديت" والليل والبحر وغيرها»[2].

فالشاعر "سعد مردف" أدرج هذا النوع في نصوصه الشعرية، فترددت بعض الرموز العالمية التي حافظ على دلالتها، كأسطورة "تموز" في قصيدة "لبنان وأسطورة تموز" وأسطورة "العنقاء" هذه الأساطير التي ترددت في الكثير من الثقافات ولكنها حافظت على دلالتها.

1- الرمز الصوفي: يعد التراث الصوفي من بين أهم المصادر التي يستقي منها الشاعر المعاصر، وذلك للتعبيرعن تجربته الشعرية بكل جوانبها الفكرية «وليس غريبا

1- الديوان، ص31.

2- ينظر: هاني نصر الله، البروج الرمزية (دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة)، ص38.

أن يعبر شاعرنا المعاصر عن بعض أبعاد تجربته من خلال أصوات صوفية فالصلة بين التجربة الشعرية... والتجربة الصوفية جد وثيقة»[1].

أي أن الشاعر حاله كحال الصوفي «فمهما كانت النتائج المرجو الوصول إليها، إلا أن الوسيلة بين الصوفي والشاعر هي وسيلة أداتها الكلمة وغايتها الحقيقة ذلك لأن الرمز هو وسيلة الأديب لينفذ مما هو حسي المنزوي تحت طابع الكتابة الحرفية، وصولا إلى الجوهر الحقيقي جوهر المعنى»[2].

وقد حاول الشعراء جذب انتباه القراء من خلال التجارب الصوفية «التي تميزت بفرادتها في التوظيف المخصوص للعلامات اللغوية، فقد عمد هذا المبدع إلى استثمار كل العلامات الرمزية لأجل التعبير عن تجارب شعورية هي غاية في التجريد والغموض»[3].

فمن خلال التجريد والغموض ينجذب القارئ ويحاول كشف هذا الغموض وفك العبارات والرموز ليصل إلى أفكار المبدع ليعطي نظرة تأويلية وقراءة ثانية لذلك النص الشعري.

1- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر، القاهرة، (د.ط)، 1417هـ/1997، ص105.

2- السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، عنابة، الجزائر، ط2، 2008، ص186.

3- محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، ص9.

وبالعودة إلى الديوان نجد الشاعر "سعد مردف" متأثر بالتراث الصوفي من خلال مناداته بأفكار وقيم وأخلاق دينية التي تدعو إليها الصوفية، رغم أن الشاعر لم يرجع إلى رموز صوفية التي أدرجها الشعراء المعاصرون كالشخصيات المعروفة في التراث أمثال الحلاج وابن العربي وغيرهم، لكن باعتبار أن هؤلاء كانوا شعراء.

فشاعرنا "سعد مردف" اعتبر نفسه متصوفا وشاعرا في نفس الوقت، وهذا ما نلتمسه في قصيدة "نشيد كامل النور" في قوله:

طه أنا، والله a روحي الفدى والله
ما مال فرع، أودنا a فجر، ولاح سناه
ما غرد الطير وما a غنى، وطاب غناه
إلا صلى قلبي الذي a من شوقه أضناه[1]

وقوله كذلك:

يا خير نعمى أيقظت في الكون سر هداه
الله هبني زورة يا منقذي الله
واسكب على قلبي المعنـ ني النور أنت شفاه[2]

فالشاعر "سعد مردف" في هذه الأبيات يفدي الرسول ρ بروحه في بعض الأحيان ويثني عليه ويعترف بحبه في أحيان أخرى، كما توجه في أبيات أخرى بدعائه إلى الله عز وجل داعيا ومتضرعا.

1- الديوان، ص13.

2- المصدر نفسه ، ص.ن.

ومن هنا نجد استخدام واسع للرمز الصوفي داخل شاعرنا المعاصر بأنه صار فضاء خصبا يمنح للشعراء التعبير عن أفكارهم من خلال اللجوء إلى اللغة الصوفية.

1- **الرمز التراثي الشعبي:** الذي يعد هو الآخر منبع «الاستحضار الرمزي الذي يقوم به الشاعر لموروثه من نصوص وطقوس تتداعى إليه من الذاكرة الجماعية العربية، والتراث بالنسبة للشاعر، ليس هو الكتلة الهامدة الماضية، المتشكلة المكتملة... فالتراث يعد من أبعاد لحظة التقاطع بين الماضي والحاضر، ينبغي

ألا يتحدث عنه وعنا، وإنما يتحدث عنا، وبهذا المعنى يكون التراث بعدا مكونا من مكونات هذه البنية التي هي نحن ومن الرمز التراثي نجد الرمز التراثي الشعبي»[1].

فالرمز التراثي وخاصة الشعبي هو ذلك الرمز الذي يعبر عن عادات وتقاليد الناس وهو أكثر الرموز امتدادا، لأن الأفكار الشعبية تتناقل جيلا عن جيل.

وقد أقبل الشعراء المعاصرون على التراث لإدراكهم «بأن الاتكاء على هذا التراث لا يكفل التجاوب الأوسع مع ذلك الشعر وحسب، بل يقدم أيضا شهادة الاعتزاز بالموروث المشترك»[2].

1- نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص133.

2- علي عياد محمد صالح، تجليات الرمز في الشعر الليبي المعاصر، المجلة الليبية العالمية، العدد الثاني، مارس2015، ص10.

2- **الرمز الديني:** يعد الدين من بين مقومات الشخصية وعنصر أساسي لها، لما له من أهمية كبيرة يعتد بها البشر، فيعتبر الدين مصدر العواطف والأخلاق لذا «كان التراث الديني في كل الصور ولدى كل الأمم مصدرا سخيا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصورا والأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني، أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني»[1].

فقد استثمر شاعرنا "سعد مردف" الموروث الديني كبقية الشعراء، وجعله كقاعدة يبني عنها تجربته الشعرية فتكسبها بذلك أبعادا فكرية وثقافية وأخرى فنية.

لقد استلهم شاعرنا من الدين ما يخدم تجربته الشعرية ويثريها، فوظف الشخصيات الدينية كشخصية الرسول ρ وياسين وإبراهيم عليهما السلام.

ولم يقتصر توظيف الشاعر على الشخصيات الدينية فقط، بل ضمن بعض الألفاظ التي ترمز إلى الدين الإسلامي "كالآيات" التي هي جزء من السورة في كتاب الله المقدس القرآن الكريم، وذلك في قوله:

إلا الرسول ومن علت برفعته

بلابل الوحي آيات، فآيات[2]

1- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص75.

2- الديوان، ص5.

كما نجد لفظة "القيامة"، هذه اللفظة التي ذكرت في العديد من مواضع القرآن وهي ظاهرة لا بد من ظهورها في آخر المطاف، فيقول الشاعر:

محمد هل لي بغوث من الـ

حوض يوم القيامة من راحتيك[1]

ذكر كذلك لفظتي "الشرع" و "الجهاد"، في قوله:

أو ليس في القرآن والذكر: انفروا

أو ليس فيه للجهاد نـداء؟

أو ليس في قتل المحارب سنة

وشريعة قالت بها السمحـاء؟

فعلام أمسى الكفر يغصب أرضنا

وقعودنا عن هدى، ومضـاء؟

وجعلتم التفريق بين صفوفنا

شرعا لنا يقضي به الإفتاء[2]

ولفظ "التسبيح" في قوله:

وهل يشتفي القلب من نظرة

إليك فيسبح في شاطئيك[3]

1- الديوان، ص12.

2- الديوان، ص22.

3- الديوان، ص12.

كل هذه الألفاظ تدل على الشريعة والدين الإسلامي فهي مستوحاة من القرآن الكريم هذه الرموز استقاها الشاعر بما يخدم تجربته الشعرية.

ونجد كذلك من الرموز الدينية لفظ الجلالة "الله" الذي ذكر في العديد من القصائد «فلفظ الجلالة الله من معانيه المفرد والمتعدد في آن معا، فهو سبحانه واحد فرد صمد... ولكنه الكل العظيم والأبد والأزل»[1].

كما استخدم شاعرنا "سعد مردف" من القصص الدينية قصة "الإسراء والمعراج" والتي وظفها توظيفا جماليا في قوله:

وأنا فلسطين العروبة الحرة أولاني الإسـلام بالأفضال
بالقدس بالأقصى وبالإسراء والـ معراج قرآن تلاه التالـي[2]

فنلاحظ في هذه الأبيات أنه استخدم العديد من الألفاظ الدالة على الدين الإسلامي كحادثة الإسراء والمعراج هذه القصة الموجودة في التراث الإسلامي، فقد أدرج كل هذه الألفاظ إضافة إلى قصة الإسراء والمعراج، للدلالة على انتمائه للدين الإسلامي واعتزازه به، وهكذا كان وقع الموروث الديني في نفس الشاعر قويا لذا عبر من خلاله على ما يجوب خاطره بطريقة فنية، كما تؤدي إلى تقوية بناء القصيدة.

1- عثمان حشلاف، الرمز ودلالته في شعر المغرب العربي المعاصر، ص117.

2- الديوان، ص31.

وعموما يبقى الرمز بكل أنواعه هو الوسيلة الأجدر على التعبير عن المشاعر المبهمة، وأسرار النفس الخفية التي لا يمكن الإدلاء بها، لذا حظي بمكانة كبيرة في الشعر المعاصر، فرحب به الشعراء، كما استهوى الدراسات النقدية المعاصرة.

الفصل الثاني:

أنماط الرمز في ديوان "حمامة وقيد" "لسعد مردف".

1- **الرمز الأسطوري.**

2- **الرمز الطبيعي.**

أ. ظواهر طبيعة.

ب. حيوانات.

ج. أماكن.

3- **رمز الشخصيات.**

يعد الرمز من أهم الوسائل في الشعر الحديث، إذ جعل منه وسيلة من وسائل التعبير التي يستحضرها المبدع، فيعتمد الإيحاء الذي يعد سمة من سمات الرمز للتعبير عن الأفكار والمشاعر، فقد كان استخدام الشعراء للرمز كل ومنظوره الخاص، في استدعاء رمز من الرموز الذي يرى أنه مناسب لخدمة تجربته، ومن هنا تنوعت وتعددت الرموز وذلك بتنوع منابعها وتشعبها.

1- الرمز الأسطوري:

لقد لجأ الشعراء إلى استخدام الأساطير رموزا للتعبير عن رؤى وأفكار عميقة، وقد وجد الشعراء ضالتهم في الأسطورة من أجل تحقيق غاياتهم.

فتعد الأسطورة «صورة للشعر، وقد أجمع نقاد الشعر وعلماء الأساطير كلاهما على أن الشعر في شأنه كان متصلا بالأسطورة، باعتبارها قصة خرافية مسلية وإنما باعتبارها تفسيرا للطبيعة والتاريخ، وللروح وأسرارها»[1].

فالشعر في بدايته أتى مفسرا لكل مظاهر الكون والنفس الإنسانية وذلك لارتباطه بالأسطورة.

«إن وظيفة الأسطورة ليست تفسير الرؤى الشعرية تفسيرا مجازيا بسيطا حتى تكون مجرد تشبيه حذف أحد طرفيه بل إن وظيفتها بنائية إذا صح التعبير، فهي من

1- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر، القاهرة، (د.ط)، 1417هـ/1997، ص174.

جهة تعمل على توحيد العصور والأماكن والثقافات المختلفة ومزجها بعصرنا وأجوائه وثقافته، ثم هي من جهة أخرى تؤدي وظيفتها العضوية باعتبارها صورة شعرية»[1].

وعلى هذا فإن للأسطورة أبعاد متنوعة وليست محدودة كما يحصرها البعض في كونها مجرد صورة شعرية بل تتخطى كل الحدود كون أن المبدع هو عارف بتاريخ الحضارة العالمية.

ترى الباحثة سلمى خضراء الجيوسي «أن توظيف رموز الأساطير في الشعر يعد تقربا من الشاعر نحو المشاركة الشعبية، فكل شعر له أساطيره وقصصه قوة موحدة وتراث تناقله الأبناء عن الآباء، لذلك ترى أن الشعر الذي يستوحي من التراث الشعبي الحي في نفوس الأمة، وهو بهذا يضاعف من إغراقه ويقترب من نفسية الشعب»[2].

تعتبر الأساطير الشعبية منبع أسطوري ينهل منه أغلب الشعراء سواء كانت هذه الأساطير من التراث المحلي، أم من تراث أمم أخرى، وهذا راجع إلى سعة اطلاع المبدع بالتراث الحضاري للشعوب الأخرى.

حين نعود إلى ديوان الشاعر "سعد مردف" نجده قد تناول الرمز الأسطوري فنهل من الأساطير العالمية المعروفة ومن أساطير التراث الشعبي، ومن هنا نجده قد مزج

1- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص299.

2- عثمان حشلاف، الرمز ودلالته في شعر المغرب العربي المعاصر، فترة الاستقلال، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، (د.ط)، 2000، ص7.

في ديوانه بين أساطير عالمية وأساطير عربية أو محلية.

المتأمل لعنوان قصيدة: "لبنان وأسطورة تموز ..." يجده يتكئ على الأسطورة (أسطورة تموز)، والتي مطلعها:

ذوي الفخر دمتم أهل عز ومنعة
وأهل شموخ ما تطاول معتدي
بكم ترفع الرايات في أمة وهت
وهانت على الفجار بعد التسيد[1]

فأسطورة تموز هي «أسطورة بطلاها تموز وعشتار، أوكما يعرفان باسمي إينانا ودموزي أو أدونيس وعشتروت الذين انعكست أحداث حبهما على الأرض، التي تعد جزءا من تشكل الربيع، إذ تجسد انبعاث الحياة في فصل الربيع»[2].

وقد انتقى الشاعر هذه الأسطورة وأسقطها على لبنان كأنها وتموز شيء واحد، فبعد الذل والمهان الذي عاشه الشعب اللبناني لقي الراحة والأمان والخصب والماء فهذا الإله عند موته تموت الحياة. ومن هنا استحضر شاعرنا أسطورة تموز ومثلها

بالشعب اللبناني كما تعد أسطورة تموز من بين أساطير الخلق والبعث التي تتصدر «الأدب العربي الحديث، كما فيها من بعد فكري، وإثارة وأحداث مميزة، تدفع بالأدباء

1- سعد مردف، حمامة وقيد، مطبعة مزوار، ط1، 2010، ص16.

2- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث (نماذج من خليل حاوي أدونيس محمود درويش بدر شاكر السياب)، دار الفرابي، لبنان، بيروت، ط1، 2016، ص265.

عموما والشعراء خصوصا إلى اتخاذها نواة لكتاباتهم»[1].

وقد استحضر الشاعر الرمز الأسطوري لما فيه من وقع جمالي في نفس المتلقي، وكذلك لما يحمله من دلالات وإيحاءات تتصف بقوة وصلابة الإسقاط «ولذلك ظلت الأسطورة موردا سخيا للشعراء في كل عصر، وفي كل بقعة يجسدونها عن طريق معطياتهم الكثيرة، من أفكارهم ومشاعرهم، مستغلين ما في لغة الأسطورة من طاقات إيحائية خارقة ومن خيال طليق لا تحده حدود»[2].

وقد كانت عودة الشعراء لهذه الأساطير على أساس أن «لغتهم الشعرية عجزت على تجسيد ما يعانونه لذا فتشوا عن تقنية مختلفة وقد وجدوها عبر الرموز الأسطورية»[3].

كما نجد أن الشاعر لم يركز على الأساطير المعروفة عالميا فقط بل استحضر أساطير من التراث العربي، فانتقى منها أسطورة الغول، هذا المخلوق الخرافي من تأليف المخيلة العربية، ومن هنا لم يكن لجوء الشاعر إلى التراث لجوءا عبثيا، بل لجأ من أجل استحضار هذا الرمز الأسطوري.

1- المرجع السابق، ص265.

2- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص194.

3- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص267.

فاحتذى الشاعر بالتراث واعتبره موردا سخيا، فكان استحضاره للغول كأسطورة، قوله في قصيدة: "فلسطين والحب والآخرون ...؟"

ما لليهود الغاصبين، ومالي كم يطلبون، ولا أحب وهالي
كم يزعمون مودتي، وأنا لهم حرب، فمالي في المودة مالي؟
أأحبهم لا كنت، كيف أحبهم وهم أفاع في الحمى، وسعالي
من ذا يحب الغول،وهي مطية للخوف والعتمات والأهوال[1]

«إن الغول كائن خرافي يكثر ذكره في الحكايات الشعبية وقصص الأطفال، وكان العرب منذ القدم يزعمون بوجود الغول على أنه من الجن، وقد نسجوا حوله العديد من القصص الخرافية»[2]. وظف الشاعر هنا أسطورة الغول كرمز لليهود وما يبثوه في الدول العربية من خوف ورعب وهلع.

كما نجد رمز آخر في قصيدة "فتوى العقود؟" في قول الشاعر:

حاشاك يا طه، ومثلك في الحمى صولاته تحكي بها الجوزاء
حاشاك في البطحاء ترغم من بغوا وتذلهم ففراشهم غبراء[3]

فقد وظف الشاعر رمز الجوزاء بدلالة الحب والعطاء والحيوية والصداقة وحب الناس والتمرد.

1- الديوان، ص30.

2- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص77.

3- الديوان، ص22.

كما وظفه الشاعر لما فيه من تكثيف دلالي وطاقة موحية لكل هذه الصفات، لذلك «يعد استدعاء للفضاء التخيلي والدلالات الرمزية الموحية بأبعادها المتعددة فكل بعد يشكل محورا للشاعر كي يضفي مراميه الفنية الخاصة به»[1].

نجد كذلك من بين الأساطير التي استهوت عقل الشاعر أسطورة "العنقاء" فيقول:

ومن لحنه عند الجنوب نسائم تدفق في روحي، فتبعث مولدي
فيا حادي الركبان من كل وجهة ومصلي فلول البغي نيران موصد[2]

استدعى الشاعر في هذه الأبيات أسطورة العنقاء أو طائر الفينيق، في لفظة فتبعث مولدي، هذا الطائر الأسطوري الذي عرف بأنه «طائر مديد العمر بعد مئات السنين يحترق في عشه ويصبح رمادا، ثم يولد من جديد وهكذا في دورة أبدية»[3]. إذ يعد هذا الطائر رمزا للتجديد والبعث في الحياة، فالشاعر هنا قد تقمص دور هذا الطائر وكأنه هو الذي سوف يبعث من جديد.

«فهو يود تحدي الحصار كي يتغلب عليه وهو يحتاج إلى أن يعود إلى هذا الرمز، وهذا كله يتطلب المزيد من الأمل بحياة جديدة يسعى إليها وهي لن تكون إلا عبر عنقاء تحرق القديم لتعيد إحياء الجديد المرغوب فيه»[4].

1- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص341.

2- الديوان، ص17.

3- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص308.

4- المصدر نفسه، ص309.

إستوحى الشاعر بعض الرموز الأسطورية لكي يجسد من خلالها أفكاره ومشاعره التي تجسدت فيها أحيانا وامتزج بها أحيانا أخرى، لتكون هذه الأساطير صورة رامزة للواقع وللقضايا السياسية السائدة في وطننا العربي.

1- الرمز الطبيعي:

لقد اهتم الشعراء بالطبيعة وجعلوها أنيسهم الوحيد فامتزجوا بها وحاكوا كل تفاصيلها فجاءت قصائدهم لتزهر بشتى ألوان الطبيعة «وقد شكلت وما زالت المعين الذي لا ينضب بالنسبة إلى الشعراء المبدعين لأنهم يمتلكون مشاعر مرهفة ويلفت نظرهم الجمال الكامن فيها بتجلياتها المختلفة والعناصر المتعددة الساحرة»[1].

واعتبر الشاعر الطبيعة المورد السخي الذي ينهل منه ابعادا فنية وأخرى دلالية، فاتخذها رمزا ومزجها بخياله وصوره الفنية ليعبر من خلالها عن هروبه من الواقع المرير وأمله في غد أفضل.

أ- ظواهر طبيعية:

من بين الرموز التي شغلت مساحة كبيرة في ديواننا "حمامة وقيد" نجد البحر، فقد ذكره الشاعر في عدة قصائد في قوله:

فيض المودة في لطف، وفي حدب
بحر المحبة، في لين وإخبات[2]

1- المرجع السابق، ص345.
2- الديوان، ص8.

وفي قصيدة أخرى نجد قوله:

وأنت كما الغيث يا سيدي

وبحر العطايا، صلاتي عليك[1]

وظف الشعراء عنصر الماء لما له من أهمية كبيرة في الحياة، لكن «لم يكتف الشعراء بإحضار لفظة الماء بل حملوها دلالات قريبة أو بعيدة في نتاجاتهم الشعرية، التي استعانوا فيها بكل مصادر الماء وأنواعه وخواصه وصفاته كالسحاب والمطر والأنهار والبحار، وبالتالي خلقوا أبعادا رمزية من فكرهم وخيالاتهم وتجاربهم الفنية والوجدانية»[2].

لقد وظف الشاعر البحر بدلالة واسعة وعميقة ليدل على محبته وفيض إحساسه ورحابة صدره.

يقول في قصيدة "نشيد كامل النور"

بحر الندى محمد فيض العطا لولاه

لم يعرف الكون الهدى أو تكتحل عيناه[3]

1- الديوان، ص11.

2- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص353.

3- الديوان، ص13.

ويقول أيضا في نفس القصيدة:

بحر السجايا العطرا ت فضل من رفع السما[1]

نجد شاعرنا من بين الشعراء الذين برعوا في توظيف رمز البحر وقد سيطر على مخيلته بشكل لافت.

ويقول أيضا:

وعشت كبحري الطامي نسيم الليل ينطقني[2]

وفي هذا السياق نجد الشاعر "سعد مردف" قد وظفه بدلالة الصلابة والقوة في مجابهة مصاعب الحياة، وهناك «فرق بين المياه الصافية، والمياه الربيعية، والمياه الجارية، والمياه المغرومة، والمياه العميقة النائمة، والمياه المركبة، والمياه العذبة والمياه العنيفة والمياه القلقة ... حاسبا أن كل نوع له صورة معينة تناسب الرؤى الشعرية»[3].

1- الديوان، ص13.

2- الديوان، ص23.

3- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص352.

كما استطاع الشاعر أن يوظف كل عناصر الماء في قصيدة واحدة في قوله:

عيبوا الجبال إذ ما لاح شامخها والبحر، والنهر يلغو بين جنـات
أوا هزؤوا من نمير الماء منطلقا في صفحة المرج، وانحوا بالملامات[1]

في هته الأبيات نلاحظ أن الشاعر "سعد مردف" وظف البحر هنا بدلالة استمرارية الحياة، وأن كل ما يصبو إليه الشامتون بنا لن يبلغوه وستستمر الحياة رغما عنهم، وعبر عن الصمود والقوة والشموخ بالجبال.

كما وظف الشاعر عدة ظواهر طبيعية من بينها الليل، الشمس، الفجر وكل هذه الظواهر شغلت حيزا في ذهن الشاعر وتركت أثرها البارز في نفسيته، فتعددت دلالتها من ظاهرة إلى أخرى.

ففي تجربة "سعد مردف" وظف الشمس التي تعد من الظواهر اليومية فبدونها لن تكون هناك حياة.

يقول الشاعر:

عيبوا النجوم، وشمس الأفق بارزة
ونسمة في الضحى ألقت صلاوات[2]

1- الديوان، ص7.

2- المصدر نفسه، ص ن.

ويقول أيضا:

هي أمتي ستعيد الشمس باسمة

عن ثغر أحمد في أرض الرسالات[1]

«فاستخدام الظاهرة الحياتية لشروق الشمس، حسب تعدد عناصرها إذ رأى فيها سمة تهمه، لأن الشمس هي النور وهي العلو»[2]. كما تدل في غالب الأحيان على الأمل في الحياة والحرية، وقد وظفها الشاعر كرمز للحياة لأنها تعطي بأشعتها إلى الأرض كي يستفيد منها كل من على الأرض.

كما استدعاها في قوله:

ولووا لهيب الشمـ س في آفاقه فتحنا

من قال أن الأرض هـ ذي الأرض تصبح موطنا[3]

يغير شاعرنا دلالة الشمس في هذه الأبيات على عكس الأبيات السابقة، ففي هذه الأبيات تدل الشمس على القساوة بعد أن جردها الشاعر من كل صفاتها الجميلة.

1- الديوان، ص10.

2- ينظر: نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص40.

3- الديوان، ص34.

يقول أيضا:

هل يذهل الجفن المقرح عن يد وأدت شعاع الشمس ذات هلال؟
هل يسلون أخو الفجيعة، والمنى هصرت، وعاث البغي في الآمال[1]

ذكر الشاعر هنا ظاهرة كسوف الشمس ليرمز بها إلى الظلم السائد في الدول العربية الذي استبدل بالحق، فعبر عن الحق بالشمس.

كما نجد ظاهرة الليل التي لا يمكن لليوم أن يكتمل دونها فتتعاقب هذه الظاهرة مع النهار، وقد جعل الله الليل على خلاف النهار الذي يسعى فيه الناس للعمل، فالليل بسكونه وهدوئه يشغل الشعراء «لأنه ليل تحشد فيه الهموم، إنه ليل مهيمن على عالم المشاعر النفسي والخاص، ليل سوداوي، ويائس يتصف بكل معاني الهم، الخالي من الأمل»[2].

نجد في تجربة "سعد مردف" توظيفا لرمز الليل، حيث يقول:

ألا زورة في غشاء الليل أرى في دجناتها من فرقديك
وتشفي المشوق إلى حبه وتحي فؤادا هواه لديك[3]

1- الديوان، ص30.

2- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص39.

3- الديوان، ص12.

هاجت مشاعر الشاعر في سواد الليل وسكونه وتفكر حبيبه محمدا رسول الله ρ وأخذ يصفه وصف هائم، كما وصف أشواقه إليه.

ثم يرجع ويقول:

وإلا شهاب الرعد بنهال في الضحى وفي كل ليل حالك الثوب أسود[1]

الشاعر ضاقت نفسه وتعب من المآسي التي تحيط وتنهال عليه في كل ليل جراء ما يحدث في لبنان حيث ربط الواقع المرير الذي تعيشه البلاد بالليل الحالك، وأن الثوب الأسود هو ثوب طغيان وثوب ظلم.

ولكنه لم يستسلم لهذا السواد وحاول أن يزيحه في قوله:

هذي العيون الساهرات يواقظ سرج على سرج تضيء السماء
مسحت على العتمات فهي منيرة ومحت سواد الليل والظلماء[2]

ونجد الشاعر في هذه الأبيات يبين لنا أن هناك رجال ساهرون في محاولاتهم الجاهدة لإزالة الظلم السائد في البلاد الذي يرمز إليه في غالب الأحيان بسواد الليل، وإنارة الدروب وإيضاح الطرق لكي يتسنى لهم متابعة الطريق وتحقيق طموحاتهم.

1- الديوان، ص19.

2- الديوان، ص45.

وظف الشاعر كذلك الفجر كرمز طبيعي والذي يرمز إلى السعادة والانطلاق والفرح والسرور، فبعد انجلاء الليل الحالك يأتي صبح مشرق بالأمل والتفاؤل «وقد تعامل الشاعر مع عناصر الطبيعة بطريقة رفعوا فيها الكلمة من مدلولها المعروف إلى مستوى الرمز بعد أن قاموا بشحن اللفظة بدلالات جديدة، فخلقوا ألفاظا خاصة بهم وابتكروا علاقات بين الألفاظ لم نعتدها سابقا»[1]. لذا وظف الشاعر الفجر بدلالة مغايرة عن الدلالة المعروفة إذ يقول في أحد القادة العرب:

وإذا سنا قد لاح بين ثيابه

والفجر يبسم فوقه بسرور[2]

فهنا وظف الشاعر الفجر ليعبر عن مدى قوة وصلابة هذا الرجل الصنديد الشجاع الذي أخذ للموت، ولكنه واجهها بصدر رحب.

كما قال في قصيدة أخرى:

ولقد عرفتك كالنسيم عذوبة وعلمت أن الفجر قد غناك

ورأيت قلبك كالفضاء رحابة نبضت جوانبه بكل ملاك[3]

1- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص45.

2- الديوان، ص26.

3- الديوان، ص51.

فهنا تكلم الشاعر عن المرأة ومزجها بسحر منظر من مناظر الطبيعة فاستحضر الشاعر منظر الفجر لما فيه من قوة في الاندفاع وعذوبة في نسائمه، ليرمز به لمكانتها في قلبه وتقديره لمجهوداتها المبذولة.

ب- الحيوانات:

لم يرتكز توظيف "سعد مردف" على الظواهر الطبيعية فقط بل تعداها إلى الكائنات الحية الموجودة في الطبيعة والتي تعد مكون من بين كل مكوناتها، فلم يقتصر هذا النوع من الرموز على الشعر الحديث فقط بل كان حتى في الشعر القديم الذي استخدم فيه رمز «النبات والحيوان بشكل مكثف، كما نرى في حكاية كليلة ودمنة لابن المقفع وفي حكايات شوقي على ألسنة الطيور والحيوانات... ليؤدي حضورهما رمزية عالية في العمل الأدبي الفني، ويحيلنا هذا النوع من الرمز إلى مسار جديد في الشعر العربي

الذي تميز بأساليبه التعبيرية والفنية المتعددة»[1] فنجد الشاعر كغيره من الشعراء قام باستدعاء بعض الحيوانات كرموز. في قوله:

آنفا كما الأسد الهصور، وحوله

بعض الثعالب جليت لنفير[2]

1- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص461.

2- الديوان، ص26

المعروف أن الأسد هو سيد الغابة حيث تجتمع فيه صفات تجعله سيد كل الحيوانات، فكان استدعاءه من قبل الشاعر على أساس القوة والصمود والصلابة.

في حين اتخذ نوعا آخر من الحيوانات ليعبر به على عكس هذا وهي الثعالب التي تدل على الغدر والخيانة، كما استدعى الشاعر مجموعة من الحيوانات التي تدل على مجموعة من الصفات السيئة، وذلك في قوله:

ويطل من كهف الضلال، وغيه خفاش ليل يثلب العدناني
مازال في هذا الضمير حساسة للصبر رغم مكائد الشيطان
حتى رمانا ذو السموم بنابه وأطل رأس الكفر كالثعبان[1]

فذكر الشاعر هنا الخفاش هذا الطائر الليلي القبيح المنظر والذي يدل على أمر سيء في ظاهر الأمر، واستخدمه هنا للتعبير عن الشر.

فالشاعر "سعد مردف" يبلور لنا هذه الحيوانات في شكل قالب رمزي، ممهدا بذلك ظلم البشر الذي عبر عنه بغدر وظلم هذه الحيوانات، كما اتخذ القدماء رموزا أخرى للحيوانات «فقد رمزوا للأعداء بالذئب وإلى الفلاة* بالناقة الحمراء»[2].

1- الديوان، ص53.

* الفلاة: الأرض القاحلة.

2- جلال عبدالله خلف، الرمز في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد الثاني والخمسون، 2011، جامعة ديالي، كلية القانون والعلوم السياسية، ص7.

كما يعود الشاعر إلى الحمام ليتخذه رمزا للمرأة في قصيدة "حمامة وقيد" غير أن الدلالة التي يحملها هذا الطائر الوديع في غالب الأحيان «يتميز بدلالته على السلام وهو من زمن نوح رمز النجاة»[1]، غير أن الشاعر وظفها بشكل آخر غير الشكل المتعارف عليه. وذلك قوله:

ما للحمامة تهجر البستان؟ وتخاصم الأشجار والوديان؟
وتودع الحقل البهيج ونوره والسهل، والأزهار والريحان[2]

فالشاعر في هذه الأبيات استدعى الحمامة كرمز للمرأة مسلوبة الحقوق وهروبها من التزيف الموجود في الحياة، كما رمز للانتهاك بالقيد، فهذا القيد هو سبب للضعف وسكون الحركة كما حافظ على هذا الرمز على طول القصيدة فعبر عن حقوقها وما ترنو إليه، ورغم معاناتها لم تجد من يحررها من هذا القيد ويحتويها وينصرها ويكون لها نعم المرشد في هذه الحياة.

ج- الأماكن:

كما وظف "سعد مردف" في تجربته بعض الأماكن ليعبر بها عن أبعاد نفسية، كغيره من الشعراء الحداثيون الذين لجأوا «إلى توظيف الأماكن التاريخية في شعرهم إذ يقومون بإخراج المكان من دلالته المألوفة، عبر إنزياحات دلالية داخل البنية

1- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص461.

2- الديوان، ص42.

السياقية، إذ تضج القصيدة بالرموز المتنوعة منها تلك الأماكن التي أدت دورا مهما في التاريخ»[1].

ومن بين هذه الأماكن نجد قول الشاعر:

أنا المرتجي الذائب المستهام الـ

مجنح في واحة من يديك[2]

وقوله أيضا في نفس القصيدة:

"محمد" يا واحة النفس يا

مدى الحسن، والحسن في سابغيك[3]

فقد وظف الشاعر الواحة في هته الأبيات بدلالة الاتساع والراحة، فمن المعروف أن الأماكن المتسعة والمفتوحة تشعر النفس بالارتياح على عكس الأماكن المغلقة التي تشعر الإنسان بالاختناق وضيق النفس، لذا لجأ الشاعر لتوظيف هذا النوع من الأماكن ليعبر من خلاله عن راحته النفسية وعن الفرح الذي يغمره.

كما وظف الشاعر رمز مكاني آخر في ديوانه وهو رمز الصحراء فالمعروف أن الصحراء هي رمز للانتماء الثقافي والحضاري، لكن الشاعر نظر إليها على أنها

1- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص155.

2- الديوان، ص11.

3- المصدر نفسه، ص.ن.

الصحراء الواسعة التي لا ترحم من يجوب بها وقساوة مناخها وأشعة الشمس الواقعة على الرمال.

حيث يقول الشاعر في ذلك:

ورنا إلى الصحراء وهـ ـي تفوح موتا بيننا
وتكـاد تمس موئـلا للميـتين ومدفنا[1]

كما يستحضر "سعد مردف" رموز مكانية أخرى تتعلق ببلدان عربية منها رمز فلسطين هذه الأرض المقدسة والعريقة، حيث «حاول الشعراء باستدعائهم الأماكن التاريخية أن يخلقوا عبر صورتهم الفنية الجديدة سياقات خاصة بها، لم يسبقهم إليها أحد، إذ غيروا الدلالات ليعبروا عن ذواتهم الداخلية»[2].

فمن خلال قصيدة فلسطين والحب، وآخرون...؟ يتناول الشاعر في هته القصيدة عاصمة فلسطين القدس وأكبر معالمها الحضارية المسجد الأقصى.

يقول الشاعر:

قدسي من التاريخ فجر ساطـع، أرض الإباء، ومنبت الأبطال
وأنـا فلسطين العروبة الحرة أولاني الإسـلام بالأفضـال
بالقدس بالأقصى وبالإسراء والـ معراج قرآن تلاه التالي[1]

1- الديوان، ص35.

2- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص155.

3- الديوان، ص31.

نجد أن «القدس رمز المدن العربية والإسلامية الأخرى بما لها من قداسة الأديان ونور الإيمان»[1] قد استهوت جل الشعراء وذلك للدلالة على الانتماء الحضاري والتاريخي لهذه الأرض، التي اتخذها الشاعر موطنا وملكا له، ويفتخر كونه عربي ويثني عليها، لذا لجأ الشاعر إلى مثل هذا الرمز ليدل على هويته وانتمائه للحضارة العربية الإسلامية.

مثلما كان اهتمام الشاعر "سعد مردف" بالقدس والأقصى نلاحظ كذلك اهتمامه بمدينة أخرى في فلسطين وهي غزة فهي بالنسبة له رمز للصمود وللعراقة والشموخ، يقول الشاعر:

رأيت "غزة" والشموخ محاصر ورأيت كيف الحق في الأغلال؟؟
أقسمت أن الله ناصر عبده وبأن للعادين شر بال[2]

نجد أن الشعراء المعاصرون قد تأثروا بهته البلدان العربية التي تمثل تاريخهم الحضاري، لذا نجد الشاعر قد تأثر كغيره من الشعراء، فذكر غزة كرمز للفداء والتضحية، والشاعر هنا حزين لحال غزة على ما كانت فيه وما آلت إليه وهي تحت وطأة العدو الصهيوني وقد كبلت بالأغلال، إلا أن الشاعر أقسم بأن الله ناصرها ولا بد للعادين الرحيل لا محال «ولا نقصد بالمكان جغرافيته، بل ارتباط الإنسان به

1- عثمان حشلاف، الرمز ودلالته في شعر المغرب العربي المعاصر، ص127.

2- الديوان، ص31.

ما يعطيه اختلافا عن مفهوم المكان الضيق، إذ يصير جزءا من الأنا»[1].

ومن الأمكنة التي استحضرها الشاعر نجد القباب، إذ يقول:

تلك القباب عدت ملا بين القباب تفننا
قامت تطاول بعضها فتمد رأسا معلنا[2]

في هذه الأبيات يذكر الشاعر رمز القباب، هذا الرمز الذي يحيلنا إلى الأصالة والعروبة، فالقباب قديما تتعلق بالحضارة الإسلامية فأينما وجدت هذه القباب فهذا دليل على وجود حضارة إسلامية قائمة أي هي دليل على التراث الإسلامي وتطاول هذه القباب دليل على الرقي الحضاري، كما أنها رمز للهوية التي لا يستطيع أحد محوها.

3- رمز الشخصيات:

يعد "سعد مردف" من بين الشعراء المعاصرين، الذين استحضروا بعض الرموز التاريخية، نظرا لأهمية التاريخ في ما يحمله من همم وأمجاد، ووعيهم بضرورة الاستحضار لهذا التاريخ الحافل للتعبير عن وقائع عصرهم أو للمقارنة بينهما من أجل إكساب تجربته الشعرية بعدا جماليا.

1- نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، ص458.

2- الديوان، ص34.

«الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجديد»[1].

فالشاعر يجب أن يحسن الاختيار من التاريخ سواء كانت شخصيات أو أحداث من أجل مطابقتها مع الواقع بطريقة إبداعية استحضارية واسترجاعية لوقائع من التاريخ لكي تترك بذلك أثر في نفس المتلقي «وبالطبع فإن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي»[2].

نوع "سعد مردف" في اختياره للشخصيات فهناك شخصيات دينية وشخصيات أدبية، وقد وظف شاعرنا هته الشخصيات حسب مقاصده الشعرية، فنجد شخصيات قد وظفت من قبل العديد من الشعراء وهذا لأن كل من الشاعر والنبي لديهما نفس الهدف «في حمل رسالة الأمة والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية، وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته»[3].

لقد وجد الشاعر "سعد مردف" في موروثنا الديني مصدرا غنيا لاستنباط بعض الرموز فنجد من بين الشخصيات الدينية «الأكثر شيوعا في شعرنا المعاصر شخصيات محمد، عيسى وموسى وأيوب عليهم الصلاة والسلام، ولقد كانت شخصية محمد عليه

1- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص120.

2- المرجع نفسه، .ص.ن.

3- المرجع نفسه، ص77.

السلام هي أكثر شخصيات الرسل شيوعا»[1].

استحضر الشاعر "سعد مردف" كغيره من الشعراء المعاصرين شخصية الرسول محمد ρ في قصيدة إلا الرسول ρ في قوله:

وقل لمن دلسوا في الغرب أو مرقوا
شـر البرية مفتاح البليات
إلا الرسول ومن علت برفعته
بلابـل الوحي أيات، فآيات[2]

وقوله كذلك في نفس القصيدة:

إلا الرسول ومن كانت قداسته
فوق القداسات يا أهل العدوات[3]

في هذه الأبيات نجد أن الشاعر استدعى سيد الرسل وخاتم الأنبياء محمد ρ كرمز للديانة الإسلامية ويهاجم الشاعر المعادون لها، حيث يبين لهم أنهم مهما فعلوا فلن يضروها بشيء، وهنا يجمع الشاعر الرسول والديانة الإسلامية لأن كليهما تعرض للإساءة من قبل المشركين لذا وجد الشاعر أن خير رمز لديانتنا هو رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

1- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص77.

2- الديوان، ص5.

3- الديوان، ص7.

ويقول شاعرنا في قصيدة "نشيد كامل النور":

طه حبيب الله طه رسول الله

طه أنا، والله روحي الفدى والله[1]

فهنا الشاعر يقصد الرسول ρ، الذي يفتقد فيه زمنه الجميل ويبث أشواقه إليه في جميع أبيات القصيدة.

ويقول الشاعر أيضا:

ويا ساقي الباقين كاس مريرة

مستنفرا للنصر أبطال أحمد

ويا قائما والقوم في الدار نوَم

على بسط الإذلال من كل سيد[2]

من خلال هذه الأبيات نجد أن الشاعر "سعد مردف" ضمن فيها عدة شخصيات، كانت على استعداد لخوض المعركة وهم أبطال غزوة بدر، فقد كانوا معظم من قادوا هذه الغزوة من صحابة الرسول ρ الذي كان بمثابة قائد لهم، فعد هؤلاء رمزا للانتصار والمجازفة والحنكة في التخطيط القيادي الحربي.

1- الديوان، ص13.

2- الديوان، ص17.

ويقول الشاعر:

وأنت من أنت، في علم وفي رشد

ونحن لا أنت، نرعى في الغوايات

ياسين فضلك عم العالمين فما

تنساه إلا الدنايا في الخليقات[1]

وهنا وظف الشاعر ياسين عليه السلام كرمز للنزاهة والترفع عن ملذات الحياة، فهو يدل على الطهر في عالم تملأه النجاسات وفي ظل هذا المعنى نجد أن الشاعر استحر رمز الطهارة، في أمة يشوبها الفساد وذيوع الملذات والابتعاد عن الدين.

كما وظف الشاعر "سعد مردف" شخصية من الشخصيات المنبوذة في التاريخ الإسلامي، والمقصود بالمنبوذة هي تلك الشخصية التي لها أثر سيء سواء كانت مستبدة أو شخصية ظالمة سمتها الخداع، وأخذ شاعرنا هذه الشخصية ليعبر بها عن واقع مليء بالمكر والخداع بمختلف أنواعه، لذا نلاحظ استحضاره لشخصية "الشمير بن ذي الجوشن".

يقول الشاعر:

ما ضر لو تاب الرئيس ولم تنل

منه النوائب، والعدى بنقير؟

1- الديوان، ص9.

وأقام عدل المنصفين ولم تخف

من أمريكا ولا ابن الشمير[1]

جعل شاعرنا شخصية ابن الشمير هذا الإنسان الآثم لعنه الله يوم عاشوراء رمزا للتسلط والجبروت وجعله مرادفا لأمريكا فكليهما متسلط، وشاعرنا هنا يبحث عن العدل الذي يريده أن يطبق رغما عن المتسلطين الذين لا يبغون خيرا لأمتنا العربية، وغير بعيد عن هذه الشخصية نجد أن شاعرنا "سعد مردف" قد وظف شخصية الباباص في قصيدة "خطيئة الباباص" فحاول الشاعر في هذه القصيدة «الرد على تهجم البابا على الإسلام وعلى دعوة محمد ρ حين زعم واهما أن ديننا يأمر بالعنف»[2] وقد قال في آخر القصيدة:

فدع اللجاجة أيها الباباص أو فاخلع مسوح الدين، والصلبان[3]

وفي هذا البيت يحاول الشاعر الحط من قيمة هذا الشخص الذي يعد رمزا للديانة المسيحية، والعدوان على المسلمين، والملاحظ أن الشاعر يتخذ كل شخصية ويمنحها بعدا دلاليا ليثبت بها الظلم والعدوان المهاجم للدول العربية من كل النواحي.

1- الديوان، ص28.

2- المصدر نفسه ، ص53.

3- المصدر نفسه، ص54.

كما نجد ديوان "حمامة وقيد" لشاعرنا "سعد مردف" حافلا ببعض الشخصيات الأدبية التي تعكس التنوع الثقافي والأدبي لشاعرنا «فمن الطبيعي أن يكون الموروث الأدبي هو أثر المصادر التراثية وأقربها إلى نفوس شعرائنا المعاصرين ومن الطبيعي أيضا أن تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم، لأنها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعابير عنها، وكانت هي ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير

عن تجربة الشاعر في كل عصر»[1].

لقد نوع "سعد مردف" في استدعاء رمز الشخصيات الأدبية، فأعطاها بعدا دلاليا لكي يجسد بذلك رؤياه المعاصرة التي يريد إثباتها، ففي قصيدة "وداعيات الأعشى في جامعة وادي سوف" تتجلى لنا بعض الشخصيات الأدبية المعروفة في تاريخنا العربي في قوله:

ولامرئ القيس من أنفسنا عبق
ونظم حسان من فوق الحمى ظلل
وداعبتنا على مر الضحى درر
قد جاد شوقي بها إذ هزه طلل
اية لتلك، وللإعصار سابحة
على قصائد "مفدي"، وهي تقتل[2]

1- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص138.

2- الديوان، ص37.

استحضر الشاعر مجموعة من الشعراء، ففي البداية استدعى امرئ القيس الذي يمثل أجود شعراء العصر الجاهلي شعرا، ثم قال "حسان" هذا الشاعر المخضرم الذي عرف بشاعر الرسول ρ ولم يجاريه شعراء عصره، ثم ذكر "شوقي" هذا الشاعر الذي لقب بأمير الشعراء، وبعدها يرجع الشاعر إلى وطنه مدرجا أعظم شاعر والذي عرف بشاعر الثورة "مفدي زكريا".

فالملاحظ أن "سعد مردف" رمز لكل عصر من خلال أعظم شاعر عرف في عصره، وقد أدرج شاعرنا هؤلاء الشعراء بالترتيب على حسب العصور.

خاتمة

بعد القراءة والتحليل للرموز المكتنزة في ديوان حمامة وقيد ل "سعد مردف" والتي حاولنا دراستها وتوضيح دلالتها، توصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نلخصها في الآتي:

1- وجد الشاعر متنفسا له من خلال الرمز ليعبر عن خوالجه النفسية وعن تجاربه الشعرية.

2- لجأ "سعد مردف" كغيره من الشعراء إلى توظيف الرمز من مصادره المتنوعة والمختلفة، بطرق تعبيرية فنية، فكان من الرمز الأسطوري، الديني والتاريخي والطبيعي هذا الأخير الذي حظي بالنصيب الأوفر في ديوانه، فوجد فيه ضالته لما يحمله من دلالات عميقة كان لها انسجام مع الواقع.

3- مزج الشاعر بين مختلف أنواع الرمز، وهذا التنوع أضفى نوعا من الجمالية على قصائد الديوان.

4- بناء على ما توصلنا إليه من دراستنا لديوان حمامة وقيد ل"سعد مردف" أنه اتكأ على الرمز الطبيعي وجعله موردا سخيا لاستنباط الرموز الطبيعية المتنوعة، فمنها الظواهر الطبيعية كالشمس والفجر، كما استدعى بعض الحيوانات كالأسد والثعالب ليعبر بها عن قضايا عصره، كما ذكر بعض الأماكن لإبراز انتمائه التاريخي والحضاري.

5- كما وظف رمز الشخصيات فاستدعى بعض الشخصيات الأدبية كشخصية امرئ القيس وحسان بن ثابت وشوقي ومفدي فوظفها توظيفا رمزيا ليدل بها عن حنينه لأيام الشعر وازدهاره.

6- هذا التنوع الرمزي الذي حظي به ديوان حمامة وقيد هو أكبر دليل على ما يتمتع به الشاعر من مخزون ثقافي جعله يبرع في تنويع الصور الشعرية.

7- الشاعر في هذا الديوان استقى بعض الرموز التي أضفى عليها دلالات جديدة بما يتوافق وتجربته.

لقد كانت هذه أهم ما توصلنا إليه من نتائج من خلال هذه الدراسة ونرجو أن نكون قد وفقنا ولو بقليل في إنجاز هذه الدراسة والإجابة عن الإشكالات المطروحة.

ونسأل الله التوفيق.

قائمة المصادر

والمراجع

* القرآن الكريم.

أولا: المصادر

- سعد مردف، حمامة وقيد، الوادي، الجزائر، مطبعة مزوار، ط1، 2010.

ثانيا: المراجع

1) رجاء عيد، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت).

2) السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، عنابة، الجزائر، ط2، 2008.

3) عبد الرحمان بن ناصر، تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، دار بن حزم، لبنان، ط، 2003.

4) عثمان حشلاف، الرمز ودلالته في شعر المغرب العربي المعاصر فترة الاستقلال، منشورات التبين الجاحظية، الجزائر، (د.ط)، 2000.

5) عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، دار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2000.

6) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر، (د.ب)، ط3، (د.س).

7) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر، القاهرة، (د.ط)، 1997/147.

8) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر، (د.ب)، (د.ط)، 20011.

9) محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1984.

10) محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز (قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر)، ط1، 2010.

11) ناصر لوحيشي، الرمز في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.

12) نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، دار رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، ط1، 2003.

13) نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث (نماذج من خليل حاوي، أدونيس، محمود درويش، بدر شاكر السياب)، دار الفرابي، لبنان، بيروت، ط1، 2016.

14) هاني نصر الله، البروج الرمزية دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د.ط)، 2006.

15) يوسف عيد، المدارس الأدبية ومذاهبها، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994.

ثالثا: الرسائل

1) آمنة مقران، الرمز في شعر مصطفى الغماري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010/2009.

رابعا: المجلات

2) جلال عبد الله خلف، الرمز في الشعر العربي، مجلة ديالي، كلية القانون والعلوم السياسية.

3) علي عياد محمد صالح، تجليات الرمز في الشعر الليبي المعاصر، المجلة الليبية العالمية، عدد 2، مارس 2016.

4) محمد خقاني أصفهاني، التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 5، 2011، جامعة أصفهان.

خامسا: المعاجم

1) ابن منظور (أبي فضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب، فصل الراء (حرف الزاي)، مج5، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ - 1990.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ-ب

مدخل 5-13

1- مفهوم الرمز 5

لغة 5

اصطلاحا 6

2- سمات الرمز 8

3- مكونات الرمز 10

الفصل الأول: آليات استخدام الرمز وأنواعه 14-33

1- آليات الرمز 15

2- أهمية الرمز 17

3- مستويات الرمز 19

4- أنواع الرمز 22

الفصل الثاني: أنماط الرمز في ديوان "حمامة وقيد" ل"سعد مردف" 35-62

1- الرمز الأسطوري 36

2- الرمز الطبيعي 42

أ- ظواهر طبيعية 42

ب- حيوانات 50

ج- أماكن 52

3- رمز الشخصيات 56

خاتمة 65

قائمة المصادر والمراجع 68

ملخص:

تناولت الدراسة موضوع الرمز في الشعر العربي المعاصر، كونه ظاهرة شغلت حيزا كبيرا في القصيدة العربية، حيث اتخذها الشعراء كوسيلة للتعبير عن رؤاهم وتجاربهم الفنية، كما اتخذها شاعرنا "سعد مردف" في ديوانه هذا "حمامة وقيد" فنوع في الرمز وكان تأثره جليا بالرمز الطبيعي، حيث أضفى هذا التنوع نوعا من الجمالية على قصائد الديوان.

Résumé:

L'étude a porté sur le thème du symbole dans la poésie arabe contemporaine, phénomène très présent dans le poème arabe, que les poètes ont adopté comme moyen d'expression de leurs visions et expériences artistiques, y compris notre poète « Saad Mreddef » dans son livre « Hamama et Kayed » a été influencé par le symbole naturel, où cette diversité a ajouté une sorte d'esthétique aux poèmes du Diwan.